مولانا الشيخ محمد عادل الربّاني

دور الإسلام في الشؤون الدنيوية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

مبارك عليكم [الزاوية الجديدة في برلين]. ما شاء الله؛ هل كانت هذه أول صلاة جمعة تُقام هنا؟ [نعم يا سلطان]. جعلها الله مباركةً ومحفوفةً بالخيرات، إن شاء الله. الحمد لله، إن شاء الله، لتكن صلاة الجمعة هذه امتداداً لأول صلاة جمعة أقامها نبينا الكريم ﷺ في طريقه إلى المدينة المنورة، وليصلنا ثوابها أيضاً، إن شاء الله. نحن هنا في قلب بلاد الكفر. الحمد لله، لقد مُنحنا الفرصة -بعون الله ﷻ- للمجيء إلى هنا لذكر الله ﷻ، الإقرار بوحدانية الله ﷻ، واتباع طريقة نبينا الكريم ﷺ، وتعظيمه ﷺ، ونشر هذه الرسالة؛ لم نأتِ بالمدافع، بل جئنا بعون الله ﷻ. وإن شاء الله، لتكن هذه سبباً لهداية الناس.

.

هذا هو دين الله عز وجل. الدين هو الإسلام. فمنذ عهد آدم عليه السلام وحتى يوم القيامة، لا يوجد دين آخر. لقد أعلن جميع الأنبياء "نحن مسلمون"؛ وهذا مذكور أيضاً في القرآن عظيم الشأن. جميع الكتب السماوية التي سبقت القرآن عظيم الشأن نادت بالحقيقة ذاتها وأكدت أنه لا يوجد دين آخر.

.

والآن، يتساءل الناس هنا "ما هو الدين؟ ماذا تعني كلمة 'دين'؟ ولماذا الإسلام هو الدين؟". يرتكز الدين على النصيحة. ما هي النصيحة؟ النصيحة هي قول الخير. فعندما يطلب المرء المشورة أو النصيحة بشأن أي أمر، فإنه يسأل "ما هو أفضل مسار للعمل؟". يتساءل المرء "كيف يمكن أن تكون حياتي صالحة؟" وتأتي الإجابة لتقدم تلك النصيحة؛ فالشخص الراغب في فعل الخير وأن يكون صالحاً هو من يطلب "النصيحة"، والنصيحة في جوهرها تتمحور بالكامل حول أمور الدين. لا أحد يطلب النصيحة بشأن "كيف يمكنني ارتكاب الشر؟"؛ فالناس لا يسألون الآخرين "كيف يمكنني القيام بهذا الفعل الشرير؟ كيف يمكنني السرقة؟ أو كيف يمكنني اقتراف شتى أنواع السوء؟"؛ فهذا ليس من قبيل النصيحة، ولو تعاون الناس على أمور كهذه لكانوا آثمين. وعليه، فلو طلب أحدهم النصيحة لفعل الشر، ودُلَّ على الطريق، ثم أُلقي القبض عليه، يكون قد ارتكب جريمة.

.

لهذا السبب تُعدّ مثل هذه الأماكن مراكز للخير؛ فهي —أي الزوايا والمساجد— أماكن تُعلّم الخير وتنشره. وعلاوة على ذلك، فهي تُبيّن كيفية إدارة الشؤون الدنيوية. تُشير الآية الكريمة التي تلوناها في خطبة اليوم إلى هذا الأمر "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ" —أي عندما يكون هناك أجلٌ مُحدّد للسداد— "فَاكْتُبُوهُ". يأمرنا القرآن عظيم الشأن بأن نُوثّق المعاملات كتابةً —لا في المشتريات البسيطة، بل في المسائل الكبيرة والهامة— وأن نستعين بموثّق أو نشهد شهوداً عليها. لماذا نقول هذا؟ قد يتساءل البعض "ما علاقة الدين بالتجارة؟" الحقيقة أن هذه واحدة من أهم قضايا الدين: ألا تنتهك حقوق الآخرين، وألا تسمح بانتهاك حقوق الآخرين. لأنك إذا سمحت بانتهاك حق شخص آخر، فإنك تدفعه إلى الإثم وتُلحق الضرر بنفسك أيضاً؛ فأنت عملياً تتسبب في أن يستهلك ذلك الشخص مالاً حراماً. لا يمكنك ببساطة أن تثق بشخص وتقول له "تفضل يا أخي، يمكنك الدفع لي لاحقاً" دون توثيق الأمر كتابةً. إذا كنت تنوي منح المال كهدية، فلا بأس بذلك —فهذا أمر مختلف— أما إذا كنت تُقرض المال، فيجب عليك توثيقه كتابةً. لأنك إن لم تفعل ذلك ولم يسدد الرجل الدين —أي إذا امتنع عن السداد عمداً رغم قدرته المالية— فإن ذلك المال يصبح خبيثاً وغير طاهر وحرام. وإذا استخدم ذلك المال لإطعام طفله، فسيصبح ذلك الطفل ذريةً غير صالحة؛ فاستهلاك الحرام يجلب الأمراض للجسد. ولا يمكنك بناء مسجد بذلك المال الحرام، ولن تُقبل أي صدقة أو زكاة تُخرج منه. لذلك، لا تحزن لمجرد أنك "خسرت مالاً"، بل يجب أن تحزن لأنك سمحت لذلك المال بأن يصبح حراماً. فماذا عليك أن تفعل؟ الأمر واضح: دوّن ذلك كتابةً. فبمجرد توثيقه كتابةً، يصبح الأمر كالتالي: إن سدّدوا يكونوا قد سددوا، وإن لم يفعلوا، فلا تقع المسؤولية عليك. في عهد مولانا الشيخ ناظم، كان الناس يأتون بشكاوى عديدة قائلين "لقد أقرضتُ فلاناً مالاً، لكنني لم أستطع استرداده". كان مولانا الشيخ ناظم يسأل "هل استشرتني؟". والناس يأتون إلينا بالطريقة نفسها؛ فالنمط ذاته مستمر. لا يمر يوم دون أن يأتي أحدهم ليقول "أقرضتُ مالاً ولم أستطع استرداده"، أو "فعلتُ كذا ولم أحصل على مالي". يأتي كثير من الناس بمثل هذه المسائل. وفي الحديث الذي ذكرناه في الخطبة -والذي يأتي عقب آية قرآنية- يبشّرنا نبينا الكريم ﷺ قائلاً "من استدان مالاً بنية صادقة للسداد، ييسّر الله ﷻ له الأمر ويُعينه على سداد ذلك الدين بسهولة". هذه نقطة جوهرية. فكما قلنا، يجب إيلاء

مولانا الشيخ محمد عادل الربانى

اهتمام كبير لهذه الأمور، لأن طباع الناس واحدة في كل مكان، هنا وهناك على حد سواء. بعضهم يقترض بنية الاحتيال، بينما يقترض آخرون بنية السداد لكنهم يجدون أنفسهم عاجزين عن ذلك. حين يتعذر السداد، يمكن التعامل مع الموقف بأسلوب مختلف؛ إذ يُبدي الدائن تسامحاً، بل وقد يحتسب المبلغ من الزكاة -عند الضرورة- تخفيفاً عن المدين. أما إذا كانت النية سيئة منذ البداية -أي التفكير بأن "هؤلاء شيوخ أو دراويش أو بسطاء، فلآخذ المال وأحتال عليهم"- فإن ذلك لا يعود بالنفع على أي من الطرفين. حفظنا الله ﷻ.

.

قد يتساءل بعض المهتمين بالتصوف أو حتى بعض الصوفيين ممن يأتون إلى هنا "لماذا الخوض في الشؤون الدنيوية؟". والحقيقة أن الأمور الدنيوية جزء من التجربة الإنسانية؛ فنحن لسنا مجرد أرواح، بل لدينا أجساد مكونة من لحم وعظم. لم تفارق الروح الجسدَ بعد، فلا يمكن للمرء ببساطة أن يتجاهل شؤون الدنيا؛ فإذا أُهملت أمور الدنيا، اختلت الأمور الروحانية أيضاً. بالطبع، كان الناس في الماضي مختلفين؛ إذ يُحكى أن لصوص الماضي -لصاً عاش قبل ألف عام مثلاً- لم يكونوا يدخلون غرفة نوم صاحب البيت عند اقتحامه؛ بل كانوا يكتفون بالسرقة من الأماكن الخارجية ثم يغادرون، وذلك احتراماً لحرمة الأسرة. لقد كان هناك شعورٌ باحترام الأمانة؛ فحتى عند الإقدام على فعلٍ خاطئ، كان المرء يتأمل قائلاً "إننا نرتكب فعلاً محرماً واحداً، فلا ينبغي أن نرتكب محرماً آخر". الله ﷻ يحفظ الناس من الوقوع في مثل هذه المحرمات. إن ارتكاب الحرام أمرٌ سيئ، نسأل الله ﷻ أن يباعد بيننا وبينه. الامتناع عن المعصية نعمةٌ عظيمة؛ فالإيمان هو أعظم النعم، وتليه في الفضل نعمةُ اجتناب الحرام. الله ﷻ يرضى عنا جميعاً. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
25 أيلول 2026/ 14 ربيع الآخر 1448
الزاوية النقشبندية في برلين، المانيا